دخلت المنزل وفي النفس ميل إلى القراءة فذهبت إلى أعداد الرسالة أتلمس ما كتب الرافعي فيها . وقبضت منها قبضة فإذا بيدى الأعداد ١٣١ إلى ١٤٠ فقرأت مقالة « اجتلاء العيد » ، وكنت وأنا أقرأه أعجب لانثيال كريم المعاني على ذلك العقل ، وانحياز نبيل العواطف إلى ذلك القلب ، أو بالأحرى تجدد عجبي مما جمع الله للرافعي رحمه الله من حظ في عمق الفكرة ونبل العاطفة ودقة العبارة ، وعجبت لبعض من لا يقدرون الرافعي كيف لم يقرأوا له ، أو كيف وقد قرأوا لم يقدروا ما كتب عن الطفولة يوم العيد في مقالة « اجتلاء العيد »

ثم أخذت في قراءة المقال الثاني من مقالات المشكلة ، انظر إلى استخراجه معنى النيب من كلام المصلح المنتظر ، ونابغة القرن العشرين ، وإذا بصوت أسمعه رفع عيني وأرهف أذني ، وأصغيت أتسمع ذلك الصوت ولآخر يجيبه ، ولم يستغرق الصوتان إلا هنيهة أرخيت بعدها جفني أتأمل رنين الصوتين في نفسي فوجدتها مهتزة بمعان شعرت أني لا أحسن تصويرها لو حاولت . فقلت : قضية ولا أبا حسن لها . لو كنت الرافعي !

وكان الصوت ينادي : « ما ـ ما » وكان الذي يجيبه صوت أمه هبت من منامها تقول : « نعم ـ حاضر » وقد رشح الصوتان إلي من خلال الجدار

كان الصوت صوت ابني المريض قد تماثل للشفاء بحمد الله ينادي أمه لبعض شأنه ، فكان جوابها ذينك اللفظين تفصل بينهما لحظة . وكان أحد اللفظين جواباً على النداء الذي سمعت ، والثاني على الطلب الذي لم أسمع ؛ وكان حس حركة في الغرفة يشير إلى بقية الجواب . وكان للنداء والجواب وقع في نفسي وشجن لا عهد لي به . ولست أدري أهي الرقة التي يجدها الوالد لطفله المريض ، أم هي روح الرافعي في ما قرأت وفي ما كنت أقرأ هيأت نفسي فازداد تأثرها بذينك الصوتين حتى جاشت لها ؛ لكن الذي أدريه أني لو كنت الرافعي في ساعتي الحاضرة لأخرجت للناس من خير ما أخرج لهم رحمة الله عليه في « وحي القلم »

محمد احمد الغمراوي

من أسبوع العروبة والإسلام بالعراق

رسول المجد[1]

للأستاذ عبد المنعم خلاف

يا مجد مولانا محمد ! لقد فنيت في تصويرك ألفاظنا المسموعة والمقروءة ، ولكن كلماتنا النفسية الهائلة بقيت كما هي مكتومة لم يقرأها الناس ولم يسمعوها ...

وهأنذا أسأل قلمي الميت الجامد التافه ... ومدادي الأسود المظلم ، أن يعينا على تصويرك أيها المجد ، وتصوير فتنة النفس وسحرها بك ...

ولكن تُرى هل القصب الميت يتكلم ... والحبر الأسود ينير ؟ تُرى هل تسمح الأقدار أن نكشف العلاقات الخفية بين نفوسنا وبينك على ضيقنا ورحابتك ؟

هيهات . هيهات ... فإن تلك منطقة حرام على النطق والتصوير بالكلام !

* * *

يا مجد محمد ! تجسم تجسم بأشكال القرن العشرين وأثوابه .. أخرج من الكتب والتاريخ مرة أخرى ... عُدْ عجيباً غريباً كما بدأت غريباً عجيباً ... كن أجساداً تمشي على الأرض في أشخاص أبنائك الذين أضواهم جوعهم إليك ... كما تمثلت في أجساد أبي بكر وعمر وعثمان وعلي والحسين وخالد وسعد والمثنى وابن عبد العزيز وعلي الرضا والرشيد وصلاح الدين وغيرهم وغيرهم من الرجال المصابيح الذين لم تر لهم الدنيا شبيهاً إلا تحت جناحك ..

يا مجد محمد ! إنك مجد دنيا عاجلة فانية يحن أبناؤها إليها ويحبون أن يتحدثوا عنها أحاديث البطولة والجيوش والقواد والعلماء وفتوح الأقلام وفتوح السيوف ...

كما أنك مجد دين وروح وأخرى وملكوت خفي يتصل بالنبوة والرسالة وما وراء الطبيعة ... إنك مجد الظاهر والباطن والمعلن والخفي ...

(١) ألقيت في حفلة جمعية الهداية الإسلامية مذاعة بالراديو العراقي

إنك مجد اليتيم الفقير الراعى الحيي الأمى الذي وقف وحده فى جوف الصحراء يقول للعالم الأرضى كله : إلى أين أيها العالم ؟ إلى أين ؟ أنت مصروف عن وجه الله ذى الجلال ، وعن الحق الذى قامت به السموات والأرض .. !

إنكم جميعاً أيها الناس تطلبون الله .. ولكنكم جميعاً أخطأتم السبيل إليه . فليس الله حجراً ينصب ويعبد ، وليس إلهاً خاصاً ببني إسرائيل يحب الدم والذهب ، وليس له صاحبة ولا ولد ، وليس كوكباً يشرق وينرب وينطفئ يا عبدة الكواكب ، وليس يرمز إليه بالنار التي توقد من الطين وشجر الطين أيها المجوس ، وليس يطلب عذاب الجسد أيها الهنود ، وليس القوة كل شيء فى سياسة الحياة أيها الرومان ، وخففوا من الفلسفة الشاردة وبلبلة الأفكار أيها اليونان ...

فتقول له الوثنية العربية والجاهلية العريقة : يا ابن أبى كبشة.. أأنت تكلم من فى السماء ؟! أألقى الذكر عليك من بيننا ؟ ! إنك لمجنون ... إن أنت إلا ساحر ... إن أنت إلا مسحور ...

وتقول له الأديان والمذاهب والفلسفات : من أنت أيها الصحراوى الأمى حتى تكون المهيمن على الأديان والمذاهب وصاحب البلاغ الأخير من السماء إلى الأرض ؟ ماهى ثقافتك ؟ أتعرف فلسفة سقراط وطب بقراط وحكمة أفلاطون وأفلوطين..؟

فيقول لهؤلاء جميعاً : «لو شاء الله ماتلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمراً من قبله »

« إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلىّ ... » « إنما أعظكم بواحدة : أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة ... »

وتقول له السماء : « وإن تطع أكثر من فى الأرض يضلوك عن سبيل الله إن يتبعون إلا الظن». «وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان، ولكن جعلناه نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا» « فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين » « واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا »

فيمضى فى طريقه المملوء بالأشواك والأوعار والمؤامرات والمكايدات حتى يظهر الله كتابه ويبسط سلطانه على مراكز الحضارات . وها أنتم أولاء تسمعون صدى ذكراه فى جوف الليل .. بعد ألف وكذا من السنوات. وسيسمع الدنيا حديثه دائماً سيداتى سادتى :

لماذا تدير حديث الذكرى المحمدية مثنى وثلاث ورباع وأكثر ؟

لماذا تملأ الأجواء بضجة التهليل والتمجيد لروح محمد ومجد محمد؟

لماذا ترغم بغداد ودمشق والقاهرة وصنعاء وأنقرة وطهران وكابل وكل عاصمة عربية وإسلامية على السجود تحت أقدام مكة والمدينة ؟

لماذا تنثر من تراب مكة والمدينة قبضات فى أجواء العالم الاسلامى حتى تكتحل به كل عين ويتوضأ منه كل وجه وتمتلئ به كل رئة ؟

لماذا ترسل من أرواحكم الآن أيها السامعون والسامعات وفوداً وفوداً إلى أرض محمد ومعاهده ومواقع جهاده ومشاهد تاريخه ؟

لماذا كل هذا ؟

كل هذا لأننا نريد ونتوقع أن يرجع مولانا محمد إلى الأرض مرة ثانية فى أشخاصكم أنتم أيها المسلمون ، لأن الأرض حبلى مجنونة تلد كل يوم فرادى وتؤامى من الجرائم والنكبات والشناعات والقساوات وحرب الآراء والجماعات ؛ ولن ينقذها إلا دكتاتورية رحيمة عادلة معقولة مثل دكتاتورية محمد كما يقول برناردشو الكاتب الأشهر ... ولأننا نريد أن يؤمن المسلمون بأن المستقبل لهم لا محالة إذا ما بدأوا نهضة نفسية مبنية على تعاليم رسولهم التى تميت النزعات الآثمة الدنيئة التى تدور حول حب الحياة حباً يذهب أخص مميزات طالبي المجد ...

ولأننا نريد أن تثبت دعائم النهضة العربية والاسلامية فى النفس أولا حتى لا تعبث بها الرياح أو يتسرب إليها السوس

وقد ضربت وضرب كثيرون على أوتار جديد فى أحاديث الذكرى النبوية ، ذلك لأننا نريد أن يفهم المسلمون أن الاسلام إن لم يكن مطلوباً ضرورياً لنا كدين نحن مقتنعون بصحته ، ومكلفون التعبد به حتى نصفى نفوسنا ... فهو على أقل تقدير أولى المبادئ التى يجب أن نعتنقها حتى نريح عن أنفسنا وديارنا كابوس الاستعمار وضغطه الذى لا يرفعه عنا إلا مبادئ الاسلام

العملية الصارمة التي أولها امتلاك كل منا نفسه ووضعه قلبه على كفه ، واعتبار كل منا نفسه قوة هائلة تستطيع أن تفعل الأعاجيب في الأرض

ومتى امتلك المرء نفسه وملكها لمحمد ، فلا والله أن تصل إليه قوة أرضيـة بسيف حديدي أو ذهبي ... ومتى وضع كل امرئ قلبه على كفه ، فليست هناك قاذفات قنابل أو مدمرات بارود تستطيع أن تدنو من ذلك القلب الصغير الذي صنعه الله من معدن سماوي لا يصل إليه كيد إلا من داخله ...

وإلا تخبروني لماذا حتم القرآن في بعض آياته وظروفها على المسلم ألا يفر أمام عشرة من المشركين بل يجابههم ويجالدهم حتى يقتلهم أو يقتل ؟

وخبروني : كيف حلا لأهل بدر وهم ثلاثمائة ليس معهم إلا فرسان وسبعون بعيراً أن يقابلوا جيش المشركين ، وهو ألف معهم عتادهم وخيلهم ورجلهم ... ثم تنتصر الفئة القليلة وتأكل أرض بدر سبعين جسداً من يآفيخ الشرك ؟

بل خبروني كيف حلا لسبعين عراقيًا ومثلهم من الفلسطينيين ومثلهم من الأردنيين والسوريين أن يواجهوا جبابرة البر والبحر في ثورة فلسطين الماضية ؟

وكيف استعصى على مالكة العباب والتراب والسحاب والكلاب البوليسية أيضاً أن تتعقب تلك الشراذم المفرقة على شعاب الجبال كالنسور والصقور ، والتي تدير رحى ثورة ما عرف التاريخ لها مثيلاً في ضلاعة الرجال وصبرهم وإيمانهم بحقهم ؟

وقد أخبرني هنا في العراق أحد كبار الصقور الذين كانوا يجاهدون في الثورة الماضية قبل تدخل ملوك العرب ، أنهم كانوا يفعلون الأعاجيب ... وأن الأقدار الإلهية كانت معهم بالتوفيق والالهام، وأنهم لم يعرفوا تفسير آيات الجهاد التي وردت في القرآن الكريم ، والتي تجرد المسلم من منطق الضعف ووسواس الحذر إلا في هذه الثورة ... وأنهم اكتشفوا سرا خطيراً هو أن المسلمين يستطيعون أن يفعلوا أشياء عظيمة تثبت كيانهم وتعجل استقلالهم وتعيد إليهم مجدهم، ولكنهم يجهلون أنهم يستطيعون ، أو لا يجهلون ... ولكن سادتهم وكبراءهم ورجال سياستهم هم سبب الضعف والشلل وأصل الخوف والبلاء ، وأنهم يفرطون ولا يستطيعون أن يلعبوا أدوارهم في الوقت المناسب ، وأن سياستهم — إن كانت لهم سياسة — مكشوفة يقصد بها الشهرة وأنهم غافلون عن الأسباب السريعة التي تحيل النفوس الخزفية إلى نفوس حديدية ، وأنهم يجهلون بتاتاً روح «محمد» ، أو يعرفونها ولا يستخدمونها خوفاً من الاتهام بالرجعية والتعصب ... وأنهم فوق ذلك وأدهى من ذلك متفرقون مختلفون متناطحون كالثيران التي في المجزرة وهي لا تعلم لماذا هي في المجزرة !

أيها السادة :

إننا لسنا هازلين في نهضتنا . لقد طال رقودنا وركودنا وقد عزمنا أن نحيا أولاً جامعتنا العربية المكونة من ثمانين مليوناً هم في مركز الأرض كما نحيا أي جامعة ... لنؤدي رسالتنا السامية في الحياة . ولن يعوقنا عائق مهما كان ملفقاً بالحديد والنار والذهب لأننا القوة التي اختارها الله لحمل رسالته الأخيرة وقوة الله لا تغلب « والله أعلم حيث يجعل رسالته » وقد تكهرب الجو وتكهربت نفوس المسلمين والعرب ، وامتلأت الأفواه باللعنات والسخط والحقد ، ودب دبيب إحساس جديد في جميع الأقطار العربية . وأقسم بالقدر وقوانينه وبسنن الله التي لا تتخلف نتيجة فيها عن مقدماتها ... أني أحس أن الزمن يتمخض عن شيء هائل ! وأن أجواف المسلمين وقلوبهم تغلي الآن لأنهم يوقدون على قلوبهم بالحديد والنار في فلسطين !

أيها المسلمون ! أيها العرب ! تربصوا واستعدوا واغسلوا قلوبكم بتراب محمد الذي في كل ذرة من ذراته قطرة دم مقدس هريق في سبيل مجدكم وعزكم . ولا تهابوا شيئاً ولا تفرضوا الفروض الوهمية أيها السياسيون

يا أسبوع الذكرى ... ذكرى مطهر الأرض من قذارة الروح وقذارة العقل وقذارة الجسم ... طهر نفوس المسلمين ، واغسلها من الأوهام والضعف والجهالات !

أيقظهم من تخدير البنج المعطر الذي خدرتهم به سحرة أوربا لاجراء عملية جراحية عظيمة في جسومهم إلا وهي إخراج

قلوبهم العظيمة الموروثة من ميراث محمد ، ووضع قلوب صغيرة حقيرة منخوبة كافرة فى موضعها !

ارفع عن عيونهم المناظير اللونة الكبرة للتوافه التى تريهم المر أسداً والحبل جبلا ، والجزية حرية ، والرصاص ذهباً !

ارفعها عن عيونهم حتى لا يخدعوا بالعناوين التي لا وراء منها وحتى لا يخدعوا بالتراب المزوق عن اللباب المحض والصفو الخالص ؟

يا أيتها الأيام السبعة كوني صلوات سبعاً تعيد إلى المسلمين الايمـان بأن منقذهم فى السياسة والأخلاق والاقتصاد والحرب والسلم لن يكون غير محمد صاحب الذكرى ورجل الدنيا !

إجعلى صباحاتك السبع إشراقاً وضياء بالأمل والعمل

إحفظى كل كلمة من كلمات الخطباء الشعراء والمنشدين من الضياع. سجليها فى أعصاب سامعيها حتى تستحيل إلى أجراس دائمة الرنة والدعوة إلى استحضار صوت النبي في الضمائر آمراً : جاهدوا وادأبوا وكابدوا ، صارخاً : طالبوا وغالبوا وصابروا ورابطوا . كونوا نظيفى المادة قديسى الروح . كونوا علماء وجنوداً وتجاراً. كونوا تجاراً ... كونوا تجاراً ... ولا تعبدوا الوظائف الحكومية التى يؤكل فيها الخبز بدموع الذلة وخيانة الواجب

أيها السادة :

يجب ألا يتغير المثل الأعلى الذى وضعه مولانا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم للمسلمين لأنه المثل الأعلى للانسانية . ويجب أن يفهم كل مسلم ذلك حتى يعرف قيمته ومركزه فى البشرية ، كما يجب على أرباب الأديان الأخرى أن يرحبوا بعودة المسلمين لدينهم ، فمن الخير لأرباب الأديان أن يعود قلب المسلم كما كان فى عهده الأول

وليعلموا يقيناً أن المسلم بغير دينه يكون وحشياً متعصباً مؤذياً أنانياً قذراً ... أما بدينه فهو إنسان رحيم قائم على نفسه وعلى الناس بالحق والعدل كما أوصاه الله

وليعلم المسلم أن أول ما يبدأ به فى الاصلاح : البيت . البيت

عبد المنعم خلوف

فلسفة التربيـــة

تطبيقات على التربية في مصر

للأستاذ محمد حسن ظاظا

— ١٨ —

« ... وثقافة الانسان لا تقدر بمقدار ما قرأ من الكتب وما تعلم من العلوم والآداب ، ولكن بمقدار ما أفاده العلم ، وبمقدار علو المستوى الذى يشرف منه على العالم ، وبمقدار ما أوحت إليه الفنون من سمو فى الشعور وتذوق للجمال ! »

« أحمد أمين »

« للرجل المثقف جسم خاضع لارادته ، وعقل صاف متقد القوى سهل العمل ملىء بما فى الطبيعة من حق عظيم وقوانين كلية ، هذا إلى امتلاء بالحياة المنسجمة الخادمة لضميره الحى ، وإلى حب للجمال وكره للقبح ، وإلى احترام للنفس وللناس ، وإلى وفاق تام مع الطبيعة يفيدها فيه ويستفيد منها ، ويسير معها كوزيرها أو ترجمانها وهى كأمه الحنون ! »

« هكسلى »

٨ — خريج اليـــوم

أقرأت هذين القولين العظيمين فيما مرَّ عليك من قواعد وأصول ؟ وهل أدركت ما يرميان إليه من معنى سام دقيق هو قوام الشخصية الكاملة التى تنشدها التربية الحديثة فى الجماعة الديمقراطية ؟ إن يكن أفليس من الخير أن أبحث معك عن نتائج ذلك « المجهود الهائل » الذى تبذله الدولة فى التربية والتعليم ، كيما نستطيع أن نقدر هذه المدارس بطرائقها ، وتلك المعاهد بأساليبها ؟ . أليس من الخير أن ننشد جماعة « الخريجين » لندرسهم ما داموا هم غرض التربية الأول والأخير ؟ ألحق أن كل نظام يغفل درس نتائجه وتقويمها وتقديرها قدرها الصحيح يمرض نفسه دائماً لآفة الرجعية والجمود والفشل والاضطراب ! فترى ماذا علينا واجدين إذا شئنا أن ندرس « خريج اليوم » على ضوء هذه الأصول العامة التى قدمنا بها لذلك النقد المر البريء ؟ سأحاول جهد المستطاع أن أرسم لك صورة واضحة شاملة ترى فى خطوطها المتكسرة ظلا لما يمكن أن يكون عليه « السواد الأعظم » من مدارسنا . ولك بعد هذا أن تحكم على ذلك المجهود الهائل » بما تريد ، وأن تلتمس لعلاجه كل ما يمكن أن يفيد !